

سورة البقرة

المحاضرة الثامنة عشر

الآيات من 97 : 105

إِن الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ
فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ..

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم،
وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت
على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد...

" قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ
مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ (97) "

ابتداءً يخاطب الله عز وجل النبي ﷺ فيقول قل يا محمد لهؤلاء
القوم - أي اليهود - الذين يعادون جبريل أنه ليس لهم الحق في
هذه العداوة.

- ولكن ما سبب هذه العداوة ؟

الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبري شيخ المفسرين قال: أجمع أهل
التأويل - أي أهل التفسير المحمود- جميعاً على أن هذه الآية
نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل بسبب زعمهم أن جبريل عدو
لهم وميكائيل ولي لهم !!! لماذا؟

بعض الأقوال التي قيلت: لأن جبريل يأتي بالشدة والحرب أما ميكائيل عليه السلام فينزل بالقطر والمطر؛ وهذا المطر به حياة المخلوقات، وهذا من زعمهم الفاسد وضلالهم.

وشاهد هذا المعنى الحديث الذي رواه أنس بن مالك:

(أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَتَاهُ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ أَشْيَاءَ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا نَبِيٌّ، قَالَ: مَا أَوْلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوْلُ طَعَامِ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ، وَالْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جَبْرِيْلُ أَنْفَاءً، قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: فَذَلِكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَ: أَمَّا أَوْلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَوْلُ طَعَامِ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ، زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَأَمَّا الْوَلَدُ، فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ، نَزَعَ الْوَلَدُ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ، نَزَعَتِ الْوَلَدُ). [إسناده صحيح على شرط الشيخين]

الشاهد: (فذلك عدو اليهود من الملائكة) فكانوا يعادون جبريل عليه السلام، فبين الله سبحانه وتعالى هذا الضلال وقال (قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ).

(فإنه نزل على قلبك)

هل نزل جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي ﷺ فسمعه وردده وحفظه وبلغه أمته، أم نزل جبريل بالقرآن على قلب النبي ﷺ؟

- هنا في الآية (نزل على قلبك)، وفي سورة الشعراء قال تعالى (نزل به الروح الأمين (193) على قلبك لتكون من المنذرين

((194))

فدلت الآيات على أن القرآن نزل على القلب، لكن لا يصح أن نأخذ الحكم الشرعي من دليل واحد فقط.

ملحوظة يجب على طلاب العلم الانتباه إليها: لا ينبغي أن يأخذ الطالب دليلاً واحداً من الآيات أو الأحاديث ثم يأتي بتفسيرها أو يفسرها من نفسه، فأهل العلم معلوم عنهم أن أي مسألة علمية لا بد لها من جمع الأدلة أولاً؛ لأنه لا يصح أن أصدر حكماً في شرع الله بدون جمع الأدلة.

- ففي هذه الآية قد يُقال أن القرآن نزل على قلب النبي ﷺ وهذا غير صحيح، فأكثر الأمة على أنه أنزل عليه لا على قلبه؛ لأن هناك آيات أخر تدل على أن القرآن سمعه النبي ﷺ من جبريل، وكان يردده معه وحفظه في قلبه وسمعه ولسانه؛ فسمعه بأذنه وورده بلسانه وحفظه في قلبه، الثلاثة معاً.

- **ودليل ذلك في سورة القيامة (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19))** فمن شدة حرص النبي ﷺ على حفظ القرآن كان يردد مع جبريل ويكرر ويعجل به؛ يريد حفظه من حبه إياه، فطمأن الله النبي ﷺ أنه سيحفظه وسيثبت في قلبه وعقله وذهنه وسيبلغه على أكمل وجه لأمته وأمره بعدم التعجل.

- **فلماذا خصّ إذا القلب بالذكر؟** لأن القرآن ينزل فيثبت في القلب وتثبت فيه المعاني فهو محل الحفظ؛ فنحن مثلاً نقول عندما نرى شخصاً أتقن حفظ القرآن نقول عنه (حفظه عن ظهر قلب) أي ثابت في قلبه.

(فَائَهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ)

الهاء الأولى في كلمة (فَائَهُ) والهاء الثانية في كلمة (نَزَّلَهُ) على من تعود؟ قولان للعلماء:

القول الأول: الهاء الأولى عائدة على (جبريل) والهاء الثانية عائدة على (القرآن).

- وفسروا عدم ذكر اسم جبريل عليه السلام أنه تفخيم لشأنه وتعظيم لأمره؛ فهو من الشهرة والمعرفة بمكان، وذلك مثل قوله تعالى: {مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ...} معروف أنها الأرض.

القول الثاني: المعنى فإن الله نزل جبريل عليه السلام لا أنه نزل من نفسه.

- والمعنيان متقاربان، حتى لو المعنى الأول فجبريل أيضاً نزل بإذن الله.

(قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ)

أين جواب الشرط في الآية؟ عند أهل العلم لها ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن تقدير جواب الشرط (إن عادى جبريل أحد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته) فهذه العداوة فاسدة من كل وجه؛ فجبريل لم ينزل من تلقاء نفسه، هو نزل بالوحي من عند الله عز وجل وهو مأمور، والمأمور معذور فيما يبلغه، فلا ينبغي أن أغضب من شخص يأتي لي برسالة!! هل الرسالة من عنده!! بل إنه مشكور أنه قام بإيصال الرسالة التي أمر بها على أكمل وجه والتي تحمل البشارة والهداية والنور المبين وهو القرآن.

الوجه الثاني: أن تقدير جواب الشرط (إن عاداه أحد فالسبب في عداوته أنه نزل عليك القرآن مصدقاً لكتابهم، وموافقاً له، وهم كارهون للقرآن) أي أنه تعالى بين أن اليهود إن كانوا يعادونه فيحق لهم ذلك؛ لأنه نزل عليك الكتاب برهانا على نبوتك وتصديقاً لما بين أيديهم من التوراة، مما يجعلهم يكرهونه ويعتقدون أنه السبب في كل هذا !! فقد أقيمت الحجة عليهم برسالة جبريل وهي نزول القرآن على النبي ﷺ.

الوجه الثالث: قيل جواب الشرط محذوف وتقديره (موتوا بغيظكم) فالرسالة ستنزل، والقرآن سينزل ويبيّن ضلالكم وأخطاءكم وعنادكم وكفركم، والله يفعل ما يشاء.

******* وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة وكل منها يُقبل.

● والناس في مسألة الملائكة أصناف وطوائف:-

1- هناك صنف من الناس يسبون الملائكة: وهم اليهود وطائفة من الروافض (شيعة).

*فاليهود: كرهوا جبريل وقالوا عدو لنا كما بيّننا.

*وطائفة من الروافض: كرهوا جبريل ووصفوه بالخيانة !! نسأل الله السلامة - أشد من اليهود والله- فيقولون أنه نزل بالرسالة على محمد ﷺ وكان من المفروض أن ينزل بها على (عليّ) !!

الرد: إن كان جبريل -على حدّ وصفك هذا- أنه خان ! فأين الله ؟ لماذا لم ينمعه الله عز وجل؟! بل أنت بهذا وكأنتك نسبت لله أيضاً عدم العلم؛ لأن الله إذا علم أن جبريل سيخون سيمنعه من الخيانة. نحمد الله على نعمة العقل والتفكير والله إنها لنعمة تستحق الشكر.

2- طائفة من أهل الشرك على النقيض من هذا عبدوا الملائكة
قال تعالى في سورة سبأ {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ
أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ
دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (41)}.

3- الطائفة المنصورة أهل الإيمان والإسلام: عرفوا أن الملائكة عباده المكرمون، خلقهم الله من نور، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: **{بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (26)}** {الأنبياء}.
 - إذا يكون هناك توسط في الأمر.

لافتة هل يصح تسمية أحد بأسماء ملائكة؟ نعم..

حتى لو (مالك) خازن النار؟ نعم **والدليل على ذلك** أن صحابياً كان على عهد النبي ﷺ يُسمى مالك بن صعصعة رضي الله عنه ولم يغير النبي ﷺ اسمه، فقد ورد في السنة أن النبي ﷺ إذا وجد اسماً غير موافق للشرع أو به كراهة كان يغير اسمه، فدل ذلك على الجواز.

" مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (98) "

ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ (وَمَلَائِكَتِهِ) ثُمَّ خَصَّ فَقَالَ (وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) فَمَا الْفَائِدَةُ؟

القول الأول: أن ذلك من باب عطف الخاص على العام والذي يفيد التشريف والتفضيل؛ فلما ذَكَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ (وهذا هو العام) عطف عليهم جبريل وميكائيل (وهذا هو الخاص) دل ذلك على أنهم أشرف رسل الله ومن أشرف الملائكة.

والدليل على ذلك: أن النبي في غزوة بدر قال لأبي بكر وعليّ

(مع أحديكما جبريلُ ، ومع الآخر ميكائيلُ وإسرافيلُ ملكٌ عظيمٌ

يشهدُ القتالَ أو قالَ : يشهدُ الصَّفَّ) [إسناده صحيح/ مسند أحمد 2/308]

القول الثاني: قيل خُصّوا بالذكر ردًا على اليهود الذين كانوا

يسبّون جبريلَ ويمجدوا ميكائيلَ، فبيّن الله فساد هذه العقيدة وأن

جبريلَ له منزلة كمنزلة ميكائيلَ، بل ربما أفضل وأعلى- كما قال

بعض العلماء- لأنه ينزل بالوحي الذي فيه حياة الإنسان وحياة

الروح وسبب خلوده أبد الأبد في جنات النعيم، أما ميكائيلَ ملك

عظيم أيضًا ولكن ينزل بالقطر الذي فيه حياة المخلوقات، أي أمور

دنيوية فقط، وإن كان كل ملائكة الله عظام.

(فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ)

أخبر تعالى أنّ من عادى الله تعالى، أو ملكًا من الملائكة، أو

رسولًا من الرُّسل-سيأتي تفصيل الرسل في النساء- فهو كافر،

والله تعالى يُعادي كلَّ كافر..

****** استطراد:**

أحد الأشخاص كان يروّج للمنهج الصوفي فكانوا يسألونه: كيف

أن السلفيين متشددون.. !! فأحب أن يروّج لمنهجه وكيف أنهم

مختلفون.. وأنهم يحبون الناس جميعًا حتى الكفار منهم أيضًا

نحبهم !!

الرد... إن كان الله يقول (فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) كيف أقول أنا

أحب الكافر؟!!

- وهذه مشكلة أي شخص يحدد عن منهج أهل السنة والجماعة -
 أيًا كان مسماه- نحن نقول قال الله وقال رسول الله ﷺ مُنْقَادِينَ
 لأوامر وأحكام الشرع من قرآن وسنة، مُتَّبِعِينَ لأقوال السلف من
 الصحابة وَمَنْ بعدهم الذين فَسَّرُوا لنا القرآن والسنة وهذا هو
 منهجنا.

فكيف إذا يقول الله أنه عدو للكافر، وأنت تقول أنا لا أكره الكافر
 ولا أكره عقيدته ولا كفره !!؟

- وقد يَرُدُّ البعض قائلًا أن النبي ﷺ كان يدعو الكفار وما زال
 المسلمون في كل وقت يسافرون لدعوة الكفار...

نعم أدعو الكافر لكي يدخل في الدين وأنقذه من جهنم وليس حبًّا
 في عقيدته ولا دينه، أنا فقط أشفق عليه، مع الأخذ في الاعتبار
 أننا لا نُجبر أحدًا فلا نضرب ولا نَسُب إطلاقًا وليس هذا نهج
 النبي ﷺ فلم يكن يقاتلهم ولا يسبهم، بل بالعكس كانوا يسبونه ولم
 يكن النبي ﷺ يرد عليهم، هذه هي أخلاقنا.

- ولكن ما نذكره هو جانب قلبي؛ ماذا يوجد في القلب؟ القلب به
 عداة لهذا المعاند والمكابر الذي عُرِضَ عليهم الإسلام مرارًا
 وتكرارًا وظلَّ معاندًا، يكره الرسول والقرآن والدين ثم أقول أنا
 أحبه !! فأين الولاء والبراء!!؟

ومن الممكن الرجوع لدروس الولاء والبراء لكي نحاول معرفة
 ضوابط الشرع في هذا الأمر.

" وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (99) "

أي أنزلنا إليك يا محمد آيات بينات واضحات تدل دلالة صريحة واضحة ساطعة على نبوتك، وهذه الآيات حوى القرآن فيها خفايا اليهود وعلومهم ومكنونات أسرارهم وأخبارهم وأخبار أحبارهم الأوائل الذين حرّفوا وبدّلوا فيها أمور لا تُعلم أبداً إلا بالوحي.

- حوى القرآن كل هذا ولم يمنعهم من اتباعك إلا الحسد والبغي الذي يعمي الإنسان عن الحق؛ فأى إنسان منصف ولديه بقايا فطرة سليمة ويريد أن ينقذ نفسه من الضلال لابد أن يعلم أنك رسول الله من عند الله.

(وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ)

الفاسق هو الخارج عن الطاعة، واللام فيها إما للعهد وإما للجنس:

- اللام إذا كانت للعهد فهم المعهودون بالفسق والضلال وردّ الحق، وهذا هو دأبهم وشأنهم وحالهم، وهم اليهود.
- أما إن كانت اللام للجنس فهم بذلك داخلون أيضا تحت هذا الذم في جنس الفسقة دخولا أوليا؛ فلا يوجد فسق بعد قتل وسب الأنبياء وردّ الحق.

" **أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**
" (100)

(أَوْ كَلَّمَا):

واو العطف دخلت على ألف الاستفهام لإعظام الإنكار عليهم.

(كَلَّمَا) أداة شرط تفيد التكرار؛ أي مع عظم الجريمة التي ارتكبوها من كثرة نقض العهود والمواثيق وردّ الحق فأصبح عندهم وكأنها سمة متكررة، فما أجمل التعبير القرآني!

(أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ)

أي كلما عاهدوا عهدا وقالوا قولاً ينبذه فريق منهم ويردّوه !!
 فيه شيء من التعجب لأمرهم وإنكار لأحوالهم وكيف كانت لديهم
 القدرة على تكرار نقض العهود، **لكن ما السبب في نبذ هذا الفريق
 للعهود؟** تأتي الإجابة في الآية : **لأنهم غير مؤمنين (لَا يُؤْمِنُونَ)**

بخلاف المؤمنين والصحابة الكرام الذين جاءهم الحق فاتبعوه
 وشُرحت صدورهم، بل نزل في بعضهم قرآن: **{ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**
رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ..(23)} {الأحزاب} وغيرها من
 الآيات..

وفي الآية تسليّة للنبي ﷺ عند كفر هؤلاء اليهود برسالته
 وكأن الله يريد أن يهون على النبي ﷺ فهذا هو صنيعهم ودأبهم
 كأسلافهم من اليهود من زمن موسى وعلى مر الزمان.

(نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي وإن لم يكن فريق منهم لم ينقض العهد إلا أن أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون.

" وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)

أي بعد أن نبذوا العهود والمواثيق التي أمرهم الله أن يتمسكوا بها كذبوا النبي ﷺ الذي بعثه الله رحمةً للعالمين وبدلاً من أن ينصروه كذبوه مع أن نعتَه في كتبهم:

قال تعالى **{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ... (157)}** (الأعراف)

(مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ) أي مصدق لما في التوراة، وكانت صفات النبي ﷺ موجودة عندهم في التوراة.

(الْكِتَابُ) هل الكتاب الذي نبذوه (التوراة) أم (القرآن) ؟

- **قيل:** التوراة؛ لأنهم بكفروهم بالرسول النبي ﷺ الذي هو مصدق لما معهم من التوراة فكأنهم نبذوا التوراة؛ فإذا رَفَضَتِ النبي ﷺ ولم تؤمن بشريعته فكأنك نبذت التوراة.

- **وقيل:** القرآن؛ نبذوه وراء ظهورهم.

وكلا المعنيين يستقيم وليس بينهما تعارض فقد نبذوا الاثنين.

(وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)

تدل على الاستغناء، وعدم الالتفات بالكلية لما جاء به النبي ﷺ فأعرضوا إعراضاً كاملاً وألقوه وراء ظهورهم.

(كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) جملة حالية؛ أي نبذوه وراء ظهورهم مع تشبيههم بمن لا يعلم (كَأَنَّهُمْ) فدلت الكلمة على أنهم كانوا على علم جيد بصفات النبي ﷺ ولكنهم تجاهلوا نبوته استكباراً وبُغضاً.

" وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)"

(وَاتَّبَعُوا) أي اليهود.

(وَاتَّبَعُوا) فعل ماضٍ، (تَتْلُوا) فعل مضارع، والجمع بينهما يدل على أنه صفة ملازمة لهم؛ كاتباع الأحوال الشيطانية والغش والسحر، فكان من دأبهم عدم اتباع الوحي.

(عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمٍ):

(على) هنا بمعنى (في) أي واتبعوا ماتتلو الشياطين في ملك سليمان، ففي اللغة العربية قد تأتي (إلى) بمعنى (في)، و(في) قد تأتي بمعنى (إلى)؛ قال تعالى {وَأَصْلَبْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ..(71)} (طه) أي على جذوع النخل.

◀ **القصة باختصار شديد** في زمن سليمان عليه السلام أو بعد ما مات سليمان كان السحر منتشرًا، فنسب اليهود ذلك الملك الذي أعطاه الله سليمان إلى تعليم الشياطين !! وقيل أنه بعد موت سليمان كتبوا هذه الأسحار ووضعوها تحت الكرسي الخاص به ثم أخرجوا هذه الأسحار وادّعوا أن سليمان لم يكن نبيًا !! وإنما كل هذا الملك من اتباع السحر!

(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا)

بالرغم من أن اليهود قالوا إن سليمان (اتبع السحر) إلا أن الله عز وجل لم يقل (وما اتبع سليمان) ولكن قال (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمٌ) فلماذا؟

لأن مجرد اتباع السحر وتعلّمه كفر... **ومن هنا استدل العلماء على أن مَنْ تعلّم السحر كَفَرَ؛** فلا يجوز شراء كتب السحر ولا القراءة فيها ولا أي شيء خاص بهذا... فمهما حدث من ابتلاءات ومصائب لا يصح بأي حال من الأحوال إلا الاعتصام بالله عز وجل لأنه لا يحدث شيء إلا بإذنه سبحانه.

- ففي الآية الكريمة برّاه الله عز وجل من هذا الاتهام.

فائدة هامة جدا

•• قال أهل العلم : (من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن مَنْ ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به فلم ينتفع به، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن ابتلي بعبادة الأوثان ، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه ، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه ، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان ، ومن ترك الذل لربه ، ابتلي بالذل للعبيد ، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل)

فكل مَنْ كان عنده الوقت والقدرة والفرصة أن ينشغل بالحق وبما
ينفعه في آخرته ثم انشغل بالباطل.. شغله الله بما يضره؛ فالله
سبحانه كريم يسر لنا الدين والعلم بكل الوسائل المتاحة أمامنا
الآن، ولكن بالرغم من ذلك انشغل المسلمون وأعرضوا عن كل
هذا، فَسَلَّطَتْ عليهم الدنيا فانشغلوا بها.

(يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) ما هو السحر؟

السحر هو الشيء الخفي؛ فكل شيء لطف وخفي يُقال عليه سحر.
- والسحر حق؛ قد يقتل ويُمرض وله تأثير - كله بإذن الله- لكن له
تأثير، وكل مَنْ يقول أنه غير موجود فليحذر لأن ذلك فكر
المعتزلة وهي فرقة من الفرق الضالة.

- أما أهل السنة والجماعة فمُجْمِعُونَ على أن السحر موجود
والنبي ﷺ سحر.

(وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُرُوتَ وَمُرُوتَ)

(مَا) موصولة بمعنى (الذي) وليست النافية؛ لأن الله أنزل الملكين
هاروت وماروت - وهم ملائكة من ملائكة الله- بالفعل على
الأرض، يعلمون الناس السحر على وجه الفتنة والاختبار
والامتحان، فنزلوا بـ(بابل) وهي أرض في العراق.

(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)

قال الملكين أنهم سيعلمون الناس من القدرات الخارقة وغيرها
من الأعمال، لكن حذروهم أنهم فتنة واختبار وامتحان، لكن
بالرغم من ذلك التحذير والنصح من الملكين تعلم الناس السحر!

(وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)

أي مع أن السحر له تأثير وضرر بالأبدان والنفوس ويفرق بين الرجل وامرأته لكن طمأن الله سبحانه وتعالى القلوب، وحتى يثبت في العقول القدرة الإلهية والقضاء والقدر، وعظيم قدرة الله، والتوجه إلى الله فنعلم أنه ليس لنا إلا الله.

(إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ): الإذن من الله نوعان:

1- إذن كوني قدري : وهو متعلق بالمشيئة- كما في هذه الآية- فهو نافذ لا محال، وهذا الإذن القدري يوجد به أشياء يحبها الله عز وجل وأشياء لا يحبها الله؛ فشاء الله أن يكون هناك شيطان/ معاصي/ عداوة ... وهي أشياء لا يحبها الله.

2- إذن شرعي: قال تعالى { **فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ** } وكل مافي الإذن الشرعي يحبه الله؛ لأن كل شرع الله محبوب إلى الله، فهذا ما شرعه الله للعباد وأمر به.

- لكن قد يلتزم به أحد ولا يلتزم به آخر، فالإذن الشرعي به اختيار على عكس الإذن القدري الذي يقع لامحالة ولا اختيار للإنسان فيه.

♥ لم يتركنا الله هملا ولكن أعطانا الوسائل التي تطمئن القلوب فحتى لو أصيب أحد بالسحر فقد ورد من القرآن والسنة ما يدفع هذا.

- ومن هذه الوسائل التي تكون سبباً في الشفاء بإذن الله: سورة البقرة والأذكار والرقية الشرعية والدعاء والتوحد إلى الله والالتزام بشرع الله والبعد عن المعاصي.

(وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ)

على المسلم أن يتيقن أن أي أمر من الله لا بد أن يكون فيه مصلحة تامة أو راحة؛ مثل الحجاب والصلاة وصلة الأرحام.. وكل أوامر الله خير محض للعباد أو غالب (راجح)، وكل ما نهانا الله عنه هو شر محض أو غالب (راجح) مثل قوله تعالى: **{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا..(219)}** (البقرة) فحتى إن كان هناك نفع ولو قليل في المعصية إلا إن الإثم أكبر، وهكذا في كل شرع الله.

- سؤال: هل من الممكن أن يُبتلى الإنسان بتيسير المعاصي؟

الجواب: نعم، فإن لم يكن لديه علم عن الله فسيقع في المعصية ، أما لو لديه علم عن الله فسيقفهم أن هذا ابتلاء بالمعصية.

- ففي هذه الآية تيسر للناس السحر لهم ابتلاءً واختباراً وفتنة.
- أيضاً أصحاب السبب تيسرت لهم أسباب الصيد في اليوم الذي حُرِّم عليهم الصيد فيه؛ فكان السمك يخرج لهم على الماء، وذلك أيضاً كان اختباراً وابتلاءً وفتنة.

• حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُحْرِمِينَ صَيْدَ الْبَرِّ **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ... (94)}** (المائدة)

- فيكون كل ذلك اختباراً بالمعصية أمام العبد، هل سيقول:

المعصية أمامي ولن أفعل ما دام الله أمر بذلك وينجح.. أم لا.

(وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)

لقد علم أولئك اليهود أن هذا السحر فتنة - لأن الملكين أخبروهم وحذروهم منه صراحة - ومع ذلك أصروا وتعلموا الكفر.

(مِنْ خَلْقٍ) من نصيب.

(وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ) حيث استبدلوا السحر بوحى الله وشرعه بل حرصوا على ذلك.

(لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) وصفهم بالجهل وعدم العلم.

" وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103)"

- بعد كل هذه الأمور العظيمة التي ارتكبوها من الإعراض عن الحق وعدم انتفاعهم به، بين الله عز وجل أن ما دعا إليه القرآن هو الخير كله؛ **(وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا)** بالقرآن وما فيه من خير ونفع **(وَاتَّقَوْا)** ما يقدر في الإيمان بالوقوف عند حدود الله والامتنال لأوامر الله وترك العناد والشقاق... لكان ذلك خيراً لهم، ولعوضهم الله خيراً مما تركوا.

- وهذه أيضاً سنة ماضية فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه فإذا تيقن المسلم من هذه القاعدة فسيهون عليه مشقة الترك، بل لن تكون هناك مشقة من الأصل لأن ما ستتركه لله خالصاً سيأتيك يقيناً ما هو أفضل منه، شرط أن يكون الترك لله.

فمن الناس مَنْ يخاف أن يترك الحرام لأن ذلك اليقين غير موجود لديه، فلو تيقن لترك.

(لَمْثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ): جاء الجواب على صيغة الثبوت والدوام؛ فـ (مَثُوبَةٌ) على وزن (مَفْعَلَةٌ) شيء ثابت لا يتحرك، وهذا من بلاغة القرآن ففيه إشعار بعلو المنزلة والثبات لمن يمثل لأوامر الله وأن هذه المثوبة لم تكن مجرد شيء مرّ، فلم يقل مثلاً لـ (أُثِيبُهُ)، لا.. فالجزاء غير منقطع.

(مَنْ عِنْدَ اللَّهِ): تشريف لهذه المثوبة بأنها من عند الله سبحانه وتعالى وليست من عند أي أحد، وكفى بذلك تشريفاً.

(خَيْرٌ): نكرة ، وتم حذف المفضل عليه فلم يذكره؛ فلم يقل (لمثوبة من عند الله خير مما تركتوه) لماذا؟

- زيادة تشريف لهذه المثوبة، وكأن الخير كله أن تتبع ما أمر الله وتترك ما حرّم الله.

(لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ): إشعار بمدى فضل العلم عن الله عز وجل وفهم أحكامه، وقبول أوامره وعدم ردّها.

"يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رُعِنَا وَقُولُوا أَنظِّرْنَا وَأَسْمَعُوا
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (104) "

- فيه تحذير للمؤمنين لعدم استعمال أي كلمة بها شيء ضار، أو لها معنى آخر عند الأعداء، وهذا في باب **سد الذرائع**.

- لكن ما معنى (ذرائع) :

* الذريعة هي أي وسيلة للفساد (وهذا في باب الفقه وله أدلته) وملخصه أن أي شيء سيوصل الإنسان لشرف فيجب الابتعاد عنه.

- كان الصحابة يستخدمون لفظ (راعنا) مع النبي ﷺ وهي تحمل معنى طيب فهي من ارعانا واحفظ لنا أمورنا، لكن اليهود-كعادتهم في تحريف الكلام- حوّلوا هذه الكلمة إلى كلمة عندهم من الرعونة التي تعني الجهالة والإفراط في الجهل واستخدموها للهمز واللمز على النبي ﷺ !! وهذا من شدة كرههم للنبي ﷺ !
فنهاهم الله عن هذا اللفظ، وأمرهم باستعمال كلمة بديلة (وقولوا أَنْظُرْنَا وَأَسْمَعُوا).

(وَاللَّكْفَرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

أي أن كفرهم بالنبي ﷺ واجتراحهم للسيئات وتحريفهم للكلام سيكون سبباً لعذابهم في الدنيا وفي الآخرة.

"مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105) "

(مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ) :

ما يحب الكفار - سواء أهل كتاب أو مشركين - أن يُنزلَ عليكم أيّ خير من ربكم.

(مِنْ خَيْرٍ) للاستغراق؛ فأي نوع من أنواع الخير قليلاً كان أو كثيراً.

(وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) : أي أن هذا الذي تودونه من عدم نزول الخير على المؤمنين لن يحدث لأن (اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) ولن تمنعوا تلك الرحمة بحسدكم وبيغضكم.

(بِرَحْمَتِهِ) : مالمقصود بالرحمة هنا؟ **للعلماء ثلاثة أقوال:**

1- الإسلام.

2- نبوة النبي محمد ﷺ.

3- عموم الرحمة (الهداية/ العناية/.... كل شيء به رحمة).

- وليس هناك تعارض بين الثلاثة أقوال؛ فالإسلام رحمة والنبي ﷺ رحمة.. فكلها رحمة، ورحمة الله وسعت كل شيء.

(مَنْ يَشَاءُ) : والله في ذلك حِكْمُه؛ لأنه سبحانه يعلم مَنْ يستحق تلك الرحمة ومن لا يستحقها.

(وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

خبر من الله جل ثناؤه عن أن كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم، فإنه من عنده ابتداء وتفضلاً منه عليهم، ولا أحد يمنع فضل الله ونعمه.

- نسأل الله أن يشرح الصدور لفهم كلامه سبحانه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.